المعرض الشخصي الأول في سجن النقب

كنت قد خضعت للاعتقال الإداري ابان الانتفاضة الاولى، لمدة ثلاثة أشهر قضيت منها خمسة وعشرين يوماً متنقلاً بين سجن الخشبية في الخليل ومن ثم الى سجن الظاهرية وسجن عناتا لينتهي بنا المقام في سجن النقب الصحراوي او أنصار ٢ كما يسميه البعض على اعتبار ان انصار ١ كان في الجنوب اللبناني، حيث يقبع الوف المعتقلين من بينهم بعض اخوتي. وكان الاسم العبري لهذا المعتقل الكبير «سجن كتسعيوت»

كان السجن بالنسبة لي فرصة لزيارة المساجين الاطول حكماً والتعرف على احوالهم، وقد أتيح لي عمل معرض فني في هذا السجن الصحراوي ، قمت بإتمام ما مجموعه ٢٤ رسماً بورتريه، رسومات شخصية لعدد من السجناء في القسم او لذويهم ، ، كان التشابه بين الرسومات واصحابها هو المعادل الفني ، الذي سعيت جاهداً لتحقيقه ، فقد رسمت بقلم الحبر الجاف على بلايز التي شيرت الخاصة بالمعتقلين ، بحيث يستغني السجين عن واحدة من ثلاث او اثنتين من البلايز هي حيلته بالسجن ، ليرسم عليها وجهه وتصبح عندها مجرد قماش رسم غير صالحة للاستخدام ،ويضطر السجين لغسل ملابسه المتبقية لأكثر من مره كرمال عيون الرسم .

رسمت الحاج سمور النتشة وإيهاب ابن إسماعيل الشروف، رزق ومازن والشيخ فضل وحامد الادهمي واسامة جاموس واخرين، عندما تم الافتتاح في الخيمة رقم ٨، بإشراف اللجنة الثقافية في القسم، تقاطر الجمهور لمشاهدة المعرض بعد القاء كلمة الافتتاح وشكر الفنان الذي هو انا على جهوده الطيبة في الرسم

أتى الجمهور والبالغ عدده حوالي ٢٥٠ معتقلاً في القسم الواحد لمشاهدة المعرض، الامر الذي اثار ريبة حراس السجن ، فليس معهودا هذا الطقس وهذا التقاطر لزيارة معرض فني في السجن ، ارسلوا دوريات لاستكشاف

الامر وطالبوا برفع ستائر الخيم الجانبية ، واستفسروا من ممثلي المعتقل عما يدور هناك ، ولينتهي الامر باقتحامهم القسم ومداهمة المعرض ، الذي لم يكن به شيء يخل بالأمن العام ولا يشكل خطراً من أي نوع عليهم .

بعد ان ابلغوا المعتقلين بضرورة عودة كل السجناء الى خيامهم وترك الخيمة التي فيها المعرض كما هي ليتسنى لهم معاينة الأمر عن كثب، دخل الجنود الحراس ومعهم مدير المعتقل الى القسم ج٣ في معتقل النقب الصحراوي عصر ذلك اليوم دخلوا مدججين بالسلاح ومدافع الغاز، وكنا نحن السجناء نشاهدهم من خيامنا الأخرى وهم يقومون بالتفتيش وقد تجولوا في المعرض وحول الخيمة ليخرجوا بعد ذلك خالي الوفاض، غادروا ومعهم تي شيرت واحدة لا أكثر ، وقد اصدروا اوامرهم بإنزال المعرض بكامله على الفور لأن التجمهر الكبير في خيمة ممنوع ولان هذه خيمة معتقلين وليست جاليري، وطالبوا بإعادة الامور كما هي ، كان المعرض قد شوهد من قبل المعتقلين في القسم ان لم يكن جلهم على اية حال ، وشوهد ايضاً من قبل حراس السجن والإدارة رغم انهم لم يكونوا مدعوين لذلك، المعرض كان موشكاً على الانتهاء تقريباً لولا حماقتهم التي استفزت المعتقلين بالطبع ، اقتحام القسم ليس بالأمر الهين حتى ولو من أجل التحقق حول معرض فني بسيط، حظي المعرض بإقبال من جمهور غفير ومتنوع من المعتقلين حتى من قبل بعض الاخوان المسلمين، الذين يقيمون في الخيمة رقم عشرة غير البعيدة عن خيمة المعرض. عبر المعتقلون عن امتعاضهم من الاقتحام لا بل ابتكروا طريقة للاحتجاج كانت اهم من المعرض نفسه ، لم اكن انا الفنان الوحيد في تلك اللحظة وقد اسقط في يدي وانا اشاهد بعض المعتقلين يلبسون القمصان البيضاء المرسومة على صدورهم ويتجولون بها في ارجاء القسم ليشاهدها من لم يتسنى له ذلك وهي معروضة في الخيمة ، استأنف المعرض بطريقة اكثر ابداعاً وكان الاحتفاء به على طريقتهم، ما ان لبس السجناء محتويات المعرض ، القمصان التي عليها رسوماتهم وبدأوا يتمشون بالساحة جيئة وذهاباً، حتى اصبح معرضاً متحركاً احتجاجاً على مداهمة القسم ومنع المعتقلين من ممارسة حياتهم الطبيعية. كنت اشاهد كغيري الوجوه المرسومة وهي تتنفس على صدور أصحابها وعلى صدر الاب وهو يتجول في قميص يحمل

رسم ابنه او أبنته، حتى ان البعض تنافس على ان يلبس قميصاً مرسوماً عليه وجه سجين آخر وهكذا حتى أصبح للمعرض معنىً آخر أجمل وارق من العرض الذي في الخيمة، صار القسم كله هو صالة العرض وصدور المعتقلين هي جدرانه المتحركة وكانت سماء النقب سقفه واللوحات تمشي وتتمختر منتصبة في كل زاوية.

كل ما كان عليك كمتفرج، هو ان تطلب من حامل اللوحة التوقف للتحدث اليه هنيهة والنظر الى صدره وهو بدوره ينظر الى عينيك

كان هذا المعرض المتحرك درس من العيار الثقيل في الفن وطرق العرض والتحايل الذكي على واقع المنع.

كان هذا هو المعرض الشخصي الاول بالنسبة لي ليس داخل السجن فقط وانما في حياتي كلها اول معرض شخصي من الألف الى الياء وقد أبدع منظموه وجعلوني ابكي من الموقف.

مع انني كنت قد شاركت في معارض جماعية قبل ذلك خارج السجن وبعده الا ان معرض كتسيعوت بقي هو الاول والاهم والاجمل في حياتي كلها.

معرض شخصي آخر لاعمالي خارج السجن، أقيم بعد شهر من الاول في قاعة مسرح الحكواتي بإشراف الفنان سليمان منصور والفنان طالب الدويك ، بينما كانت امي في حينه هي الكوريتر الاول، قيمة المعرض بالمفهوم المتداول.